أينما أنبتك الله فأزهر

أينما أنبتك الله فأزهر

ولدت وعشت في حلب. درست حتى المرحلة الإعدادية وتزوجت مباشرة بعد الامتحان الأخير. أنجبت ثلاث فتيات، وبعد سنتين أنجبت ابني الكبير رحمه الله، وبعد أربع سنوات ابني الثاني رحمه الله، وبعد عشرة سنوات رُزقت بالصبي الصغير.

نحن ثلاثة صبيان وثلاث بنات. إخوتي الصبيان أكبر مني، وبعدي بسبع سنوات ولدتْ أختي الثانية، وبعدها بسبع سنوات الثالثة. عشت معهم من طفولتي حتى الصف التاسع. كان والدي يعمل في الإنشاءات وكان يسافر كثيراً. أمضى حياته في السفر ولم نكن نراه إلا لفترات قليلة. منذ أن وعيت على الدنيا وأنا أعرف أنه يسافر إلى السعودية، وصار يذهب بعدها إلى ليبيا.

كنت أتمنى لو كان والدي حياً عندما بدأت الثورة فقد كان الداعم الأكبر لي. عندما عرف أننا نريد أن نكمل دراستنا، أنا وأختي، شجعنا كثيراً. بعد عودته من ليبيا، وكنت متزوجة في ذلك الوقت وأريد أن أدرس، لم أتوقع أن يقف إلى جانبي بهذه الطريقة. قال لهم: "خلي تطلع وتدرس وخلي أختها تطلع معها". كان أخي الكبير يرفض الموضوع تماماً لكن والدي لم يسمح له أن يتحكم بنا وقال لنا أن نفعل ما نريد. كنت سعيدة جداً معه عندما ذهبنا إلى الحج عام 1999.

ولهذا فوجئت كثيراً أنه لم يسألني عن رأيي في زواجي. لكنه كان الأصغر بين إخوته، وعمتي الكبيرة التي ربّته هي التي طلبتني لابنها. قالت له أمي: "كيف عم تخطّبها؟ لسا كتير صغيرة وضعيفة". فأجاب: "ما قدرت خجّل أختي". بالنسبة لوالدي كان زوجي يعيش تقريباً مع أهلي في البيت نفسه. نحن بيوتنا واحدة وكان زوجي عندنا دائماً. في تلك الفترة كانت أحداث الإخوان المسلمين ووالدي مسافر وإخوتي صغار، وكانوا يطوّقون المنطقة ويفتشون ويعتقلون. اعتقلوا عمي وأخذوا الكثيرين من جيراننا وخفنا على والدي كثيراً. كان زوجي في الخدمة العسكرية وقتها وكان يبيت عندنا. أذكر أيضاً أنهم اعتقلوا شخصاً إحدى عشرة سنة. اعتقلوا أيضاً صديق خالي، أخذوه في حملة تفتيش وكان في الثامنة عشر من عمره. خرج من المعتقل في بداية الثورة وشارك فيها بعد خروجه.

كان أبي يتابع الأخبار، وعندما كان حافظ الأسد يظهر في خطاب ويطبق يديه المرفوعين على بعض كان والدي يقول: "قصده بدو يعصر الشعب عصر". كنت لا أستوعب كيف يعتقلون بعض الأشخاص لواحد وعشرين سنة أحياناً. كنا لا نستطيع أن نتحرك عندما يطوقون المنطقة. مثلاً إذا كنت عائدة من المدرسة وطوقوا المنطقة كنت أقف في مكاني ولا أتحرك، ولم تكن هناك تليفونات ليطمئنن الناس على أولادهم. كنا نخاف كثيراً أن يداهموا البيت فجأة ويدخلوا إليه. لم يكن معنا رجل في البيت. كانوا عندما يدخلون بيتاً يقلبونه رأساً على عقب، وكانوا يقفزون من على الأسطح. يعني عشنا في رعب كبير جداً. ولهذا كان أهلنا يزوجوننا باكراً كي يخف العبئ عليهم.

كانت أمي تخاف كثيراً وزرعت الخوف فينا. كنا لا نستطيع التنفس من شدة خوفها. أمضينا حياتنا من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت. لم تقبل حتى أن نذهب في الرحلات المدرسية، لكن والدي كان يكتب لي موافقته على ذهابي ويعطيني لأدفع في الرحلات. كانت توفر لنا كل شيء في البيت لكنها لا تسمح بخروج فتاة وحدها. ولم أكن أريد لبناتي أن يعشن كما عشنا.

لم أتفق مع زوجي منذ البداية. مع أنه لم يكن يحرمني شيئاً لكننا لم نتفق. كان شديد العصبية. يكبرني باثنتي عشرة سنة، لم أكن أظن أننا سنتزوج. هو ابن عمتي وكنا جيراناً وبيوتنا بجانب بعضها. كنا نسكن في "بيت عربي" وكذلك أهل زوجي. في البداية كانت حارتنا شعبية مكونة من بيوت عربية، لكنها تغيرت في ما بعد وصارت فيها أبنية طابقية وسوق للملابس وصار الناس يأتونها من كل الفئات وصارت حلوة كثيراً. كانت حلوة من الأساس وصارت أحلى بعد الأبنية. كان أصحاب البيوت العربية معروفين والعائلات تعرف بعضها.

فرحت لأنني سأتزوج لكني صدمت بعد الزواج، لم أكن أتخيل إن حياتي ستتغير كل هذا التغيير؛ كنت في التاسعة عشرة فقط وعندي ثلاث بنات، وأسكن مع أهل زوجي وزوجات إخوة زوجي الأربعة "سلايف"، لكل منا غرفة خاصة. لم أتدخل معهن في شيء ولا اقتربت منهن، أما "أولاد حماي" فكنت أقول لهم إننا يجب أن نكمل دراستنا، وأحضرنا الكتب فعلاً، لكني انشغلت بعد أن أنجبت أطفالي. بعد مجيء ابني الخامس عدت لمتابعة دراستي. قرّر أخو زوجي أن يكمل دراسته ودرست معه. كانت العودة للدراسة صعبة جداً. بعد ولادة ابني الأصغر قررت أن أكمل دراستي، والتقيت صديقة لي آتية من الشام وكانت متعلمة. كان عمري ثلاثين أو واحد وثلاثين عاماً. درست في معهد شرعي في دمشق. صرت أذهب إلى هناك وأعود، كان أولادي قد كبروا قليلاً. عندما قررت أن أكمل دراستي صار زوجي يشتغل في الحديقة وصارت توجهاتنا في الحياة متعاكسة. اختلفنا كثيراً بسبب دراستي لكني كنت سعيدة جداً مع رفيقاتي. سافرت معهن إلى كل المحافظات السورية وآخذ بناتي معي إلى اللاذقية والشام، وأخيراً لأداء العمرة.

في أول يوم دراسي في إحدى السنوات خُطف ابني وقُتل رحمه الله. أحسست بدمار كبير جداً، لم يخطر في بالي أبداً أن تحدث هذه الجريمة البشعة معنا. قبلها كنت معه واشتريت له ملابس المدرسة وأخذته للحلاق ليقص شعره. كنت عائدة من السوق في ذلك اليوم، كنا في فصل الصيف والجو حار، في يوم 27 من شهر رجب. ضجت المنطقة كلها بخبر خطفه وصار الجميع يخاف على أولادهم من المدارس. عشت وبناتي فترة رعب كبيرة وصرت أخاف عليهن. لم يكن عندنا أعداء لكن شاءت الصدفة أن يوجد شخص سكران في المنطقة خطفه. لن أنسى تلك الليلة أبداً. كان ذكياً جداً، كان زوج أختي يقول لي إنه سيكون ذا شأن في المستقبل لشدة ذكائه.

أشغلت نفسي بالدراسة وكانت علاقتي قوية مع صديقاتي في الشام. صرنا نخرج سوية ونستمتع. درسنا معاً وصرنا عائلة واحدة. نشترك في كل شيء، نبيت عند بعضنا وبيوتنا مفتوحة لبعضنا. كنا نقيم حفلات تخرج أنا وصديقاتي وآنساتي في الشام وحلب. كنا ندعم الطلاب ونحضر الهدايا. نقيم حفلات للنساء أو للأطفال أو لكل الأعمار. كنا ندرّس النساء ونحفّظهن ثم نحتفل بهن ونحضر لهن الهدايا ونأخذهن في رحلات، قمنا بهذا بشكل طوعي وكانت النفقة علينا. وبعدها صرنا نذهب إلى باقي المحافظات مع آنستنا لننشر الدعوة، ذهبنا إلى الرقة وإلى أطراف حلب والشام. كانت مجموعاتنا كبيرة جداً وكنا نجمعهم ونؤمن لهم المسكن. كان أهل الشام يمضون عندي شهراً أو شهرين أحياناً، وكان يأتينا ضيوف من اللاذقية أيضاً. لهذا عندما اشتريت بيتاً اخترت أن يكون بطابقين واحد منهما للضيوف.

كنت في الأردن عندما بدأت الثورة. كانوا يتكلمون عن النظام فقلت لهم: "شو بدكم فينا؟ عندكم رئيسكم وعندنا رئيسنا. نحن ما ناقصنا شي وحياتنا طبيعية وكل شي موفر ومأمن". لم نكن نفكر إلا بأنفسنا. عندما سمعنا أن الثورة قامت لم نكن نشعر بها وكنا نقول إننا نعيش جيداً. لكن لما صرنا نسمع عن سبب الثورة، ولماذا يحدث لهم هذا إذا طالبوا بالحرية.

وعندما عرفت قصة حمزة الخطيب قلت: "طفل هيك يصير فيه؟!". كانوا يكذّبون هذه الأخبار في المحطة السورية ويقولون إنها إشاعات. بدأت الثورة في الشام، وصار الناس ينزحون منها إلى حلب التي لم يحدث فيها شيء حتى ذلك الوقت وكان الكل يقول: "ليش حلب ما عم تقوم؟" وأهل حلب يجيبون: "ما في شي ناقصنا. ليش لنقوم؟". في ما بعد بدأت الثورة في اعزاز وأتى أهلها إلينا وفتحنا بيوتنا لهم. قالت لنا آنستنا: "افتحولهم بيوتكم وقلوبكم. هدول طالعين غصب عنهم". صرنا نساعد من يحتاجون إلى السكن ونستضيفهم في بيوتنا.

ظل الوضع هكذا حتى بدأت المظاهرات في حلب وصارت الدوريات تأتي أثناء صلاة الجمعة. صار الشبان من أهل المنطقة يضربون عناصر الدورية، طردوا حواجز النظام ووضعوا حواجز الجيش الحر. كانوا أولاد خالة أمي. في الشهر السابع تقريباً من عام 2012 دخل الجيش الحر إلى حلب بشكل مفاجئ وبدأت القذائف. عندما تسقط قذيفة كنا نذهب لنرى كيف يساعد الناس بعضهم وينقذون الجرحى. لم نكن خائفين من الحواجز لأن من عليها كانوا معروفين، من أهل المنطقة.

كنت أدرّس في معهد بجوار بيتي، ولما دخل الجيش الحر منطقتنا قالوا: "خليكم متل ما إنتو، درّسوا وحطوا أسماء مستعارة. ما فينا نعطيكم رواتب بس إذا في إغاثة او صار حصار ما رح نترككم". صار عندنا مجلس حي ومجلس إغاثة ولم يعد أي مظهر للنظام موجوداً. وبقينا ندرّس في ذلك المعهد. صرت أدرّس الفتيات وأعلّمهن كيفية التدريس. في ما بعد قصفوا المعهد وقصفوا الجامع. كان ابني، رحمه الله، يخدم العسكرية في تلك الفترة في الفرقة الرابعة ولم يأخذ إجازة واحدة منذ بداية الأحداث. كانوا لا يقبلون أن يأخذ إجازة لكنه أجرى عملية استئصال للوزتين ليستطيع أن يأتي إلينا في استراحة مرَضية. ذهبت إليه في مشفى تشرين العسكري، وعندما دخلت إلى الغرفة كان فيها سبعة عساكر، بعضهم بأرجل مقطوعة، وواحد بلا يدين، وواحد أعمى ومشلول بسبب طلقة قناص في رأسه. 5

قال لي ابني: "جايين مسلحين إرهابيين من بلاد برا بيقطعوا راس العساكر وبيبعتولكم ياهم". هذا ما قاله: إرهابيين! كانت هذه هي الفكرة الموجودة عند العساكر! قلت: "الإرهابية هنن فلان وفلان". قال: "لك هدول مو إرهابية، هدول رفقاتي". قلت له: "لأ هدول الإرهابية. تذكّر هي القذيفة عم تطلع لعند أهلك". قال لي: "لأ، عم نقضي على مجموعات إرهابية". قلت له: "القذيفة نزلت ببيتنا وببيت الجيران، برأيك نحن إرهابيين؟. شرحت له ما يحدث وصارت عنده فكرة عن كل شيء. قلت له: "بس صار معك أي شيء حاول تطلع". في إحدى المرات قلت له: "في وحدة بإدلب بدها تنزلك". قال لي: "على إدلب بحسن إنزل لأنها منطقة نظام، بس ما بيعطوني إجازة". قلت له: "عميل أي عملية واطلاع". بعدها اتصل بي وقال إنه سيجري عملية دوالي يوم الأربعاء وطلب منا أن ندعو له. قلت له: "إن شا الله بتاخد نقاهة وبتنزل فوراً على إدلب". قال: "جبتلك هدية تلفون على عيد الأم".

في يوم عمليته اتصل بي أخي من دمشق وقال لي إن ابني في المشفى. سألته إذا كان أجرى العملية فقال إنه أجراها لكنه يريدني. أخذت زوجي وذهبنا. عندما وصلنا إلى المشفى قال لي الطبيب إن ابني في الإنعاش وإنه سيفتح لي الزجاج لأراه. قلت له: "ليش؟ بَعّد هيك، ما بدي شوف ابني من البلور". عندما دخلت وجدت ابني موصولاً بأجهزة ولم أعرف ما به. قلت للدكتور: "إذا عملية دوالي ليش راسه مربط؟ شو صاير معه؟" قال: "ضربه قناص براسه". ابني "مفيّش"، يعني أنه يدفع راتبه ولا يذهب إلى الجبهة أو المعارك. في اليوم السابق قال لي: "أنا رجعت من الموت. الرصاص من وين عم يجي ما بعرف". قلت له: "يلا هانت، كم يوم ومنصير مع بعض". لأعرف أنه قُنص أثناء مكالمته معي، اختفى صوته فجأة هو ورفيقه. قالوا إنه كان في داريا. قلت لهم: "شلون بداريا وهو مفيّش ما بيطلع جبهات؟" قال لي صديقه إنه كان سيذهب إلى المشفى، وكانت عمليته في الصباح، لكن "معلّمه" لم يسمح له. أمسكت يده وصرت أقول له: "اصحى، أنا جيت آخدك، حس فيني". توفي في اليوم الثاني، في عيد الأم، وفي اليوم الثالث عدت من دمشق.

وقعت المجزرة الأولى بجوار بيتي في عام 2013. كنا قد حفظنا أصوات القذائف لكنا لم نعرف البراميل. كنت قد دعوت جارتي لشرب القهوة عندما سمعنا صوتاً غريباً فقالت: "شو هاد؟" قلت: "كأنو واحد عم يسحب برميل"، كانوا يرمون البراميل من الهليكوبتر. كان بيتي عند دوار المدرسة، بجواره ورشة إصلاح سيارات ومقابله بائع غاز بجانبه معمل إسفنج وبائع مازوت. عندما وقع البرميل صارت الأبواب تطير والزجاج يتكسر واشتعل الحريق. سبّب الحريق انفجاراً في محل السيارات وانفجاراً في محل الغاز واشتعل معمل الإسفنج.

خرجنا بالملابس التي نرتديها بمجرد شعورنا بالبيوت وهي تُدمر. كان القصف جنونياً. عند وصولنا إلى المعابر عادوا للقصف، ذهبنا إلى منطقة الهلّك وأيضاً صاروا يقصفونها. قبل هذا كانت القذائف تنزل على الحارة وبقينا نحن وأولادنا ولم نجرب النزوح. لكننا خرجنا في ذلك اليوم ولم نحمل معنا شيئاً.

عشنا حياة صعبة في سنة 2013. كنا ننتقل إلى بيت آخر كلما نزلت قذيفة في المكان الذي نحن فيه. تنقلنا بين خمسة بيوت أو أكثر. لم يبق من بيتي إلا الهيكل فقط، لم يعد قابلاً للسكن. لم أتأثر بترك البيت بسبب الهموم الأشد في ذلك الوقت؛ كان ابني في الجيش وصهري مفقوداً وزوجي مريضاً، وهم الأهم.

عندما كنت أنتقل من حيّ إلى حيّ كنت أرى الأولاد فأقول: "يا الله في بهي المنطقة ولاد ليش نتركهم بدون دراسة؟". وافتتحنا مدرسة في حي الزيتونات، وأتى عدد كبير من الطلاب. في البداية كان هناك نقص في عدد المدرسات وكنا بحاجة إلى من يدرس فيها. ذهبنا إلى أصحاب الشهادات ندعوهم للتدريس معنا لكنهم خافوا وقالوا إن النظام سيعتقلهم إذا عاد. خصصت قسماً لدورات محو الأمية للنساء. كان العمل تطوعياً في الفصل الأول. في الفصل الثاني أعطتنا منظمةٌ رواتب.

تركت المنطقة وانتقلت إلى "الهلّك التحتاني" حيث فتحت روضة ومركز محو أمية أيضاً. بعدها أرادت جبهة النصرة أن تأخذ الروضة، واصطدمت فئتان لأجل مركز محو الأمية. صارت هناك الكثير من الفئات. في البداية كان لواء التوحيد فقط، لكنهم صاروا كثيرين بعد ذلك وصاروا يتحاربون. تركت المدرسة لكني بقيت في مركز محو الأمية والروضة حتى آخر لحظة. في يوم توزيع شهادات الابتدائية قُصفت المدرسة، لكن الطلاب كانوا قد ذهبوا والحمد لله. تكرر القصف يوم توزيع شهادات محو الأمية ولم يستطيعوا المجيء لأخذ شهاداتهم. كنا سعداء كثيراً بإنجازنا، نفرح ونحن نشاهد الطلاب يدرسون. لم يكن يهمنا إلا تأمين الكتب لهم. كنا نذهب إلى منطقة الفردوس لنجلب احتياجاتنا، القصف فوقنا ونحن خائفون.

أثناء الحصار كنت أعيش في بعيدين. في البداية عشنا شهرين من الحصار عام 2016، وبعدها فتحوا الطريق لأسبوع وأحضروا لنا بطاطا وباذنجان وبصل وبندورة. وعاد إغلاق الطريق فوراً وحوصرنا حصاراً كلياً لستة أشهر. حتى الخضار لم نرها طيلة تلك الفترة. كان أحد الأشخاص يملك بقرة ولم يكن يعطي إلا نصف كيلو للأطفال الرضّع. ماذا سيفعل حليب بقرة واحدة لمجموعة من الناس؟.

في البداية قصفوا المشافي. يعني أن من يمرض سيموت بسبب انعدام العلاج. كانت المرأة تلد وكان الطفل يموت لعدم توافر العناية والأوكسجين. ابنة صديقتي ولدت في الشهر السابع وكان الطفل حيّاً لكنه توفي لعدم وجود حاضنة. توفي الكثير من الأطفال لهذا السبب، وإذا عاشوا لم يكن هناك حليب للإرضاع ولا "حفوضات" ولا شيء أبداً. كانوا يطعمون الرضيع النشاء والماء. وكانت المياه، التي يسحبونها من الآبار، ملوثة بالديدان أحياناً. بقينا ستة أشهر دون مياه نظامية ولا كهرباء وكان كل شيء مقطوعاً. كان النت مقطوعاً، وقاموا بتركيب واي فاي ، فقُصفت المحلات التي صار فيها إنترنت.

كان القصف لا يتوقف طيلة اليوم، أربعاً وعشرين ساعة. كل أربع طائرات تقصف معاً. كنا نعرف الهليكوبتر وطيران النظام، لكن قالوا إن هذا طيران روسي، وبعدها قصفوا بالصواريخ الارتجاجية. كانت الأرض ترج تحتنا. كنا نشعر بفراغ تحتنا كالزلزال ليسقط الصاروخ بعدها ويدمر بضع حارات. كان الصاروخ يدمر حوالي الثلاثة شوارع ولم نكن نجد الجثث أبداً. هناك الكثير من الجثث التي تناثرت أشلاؤها وطارت إلى مناطق أخرى. حتى عندما كان يبعد مكان وقوع الصاروخ عنا سبع أو ثماني حارات كانت الأبواب والشبابيك عندنا تسقط. أذكر أن جارنا كان واقفاً أمام محله ولم أره إلا جثة في لحظة. خرج دماغ جارتي من رأسها وقُتل ابنها وأولاد ابنتها، وكُسر حوض ابنتها الحامل. لم يقدر أحد أن يُسعف ولم تجد الجثث من يدفنها. صاروا يحفرون مقابر جماعية بالتركسات ويضعون الأشلاء فيها.

لا أحد يستطيع مقاومة الطيران. ولا يملك الجيش الحر طائرات ولا أي وسيلة للمقاومة. اتبعوا سياسة الأرض المحروقة وقسمونا إلى منطقتين منفصلتين؛ فصار البعض في الداخل، في السكري والشعار، والبعض في الخارج. حرقوا منطقة الشعار بالطيران. صاروا يرمون أعلام النظام وماكينات الحلاقة من الطائرات، "أنه احلقوا دقونكم وسلموا حالكن".

عندما فتحوا الطريق خرج كل المحاصرين وفرغت حلب من أهلها. خرجنا إلى إدلب التي استقبلنا أهلها لكننا لم نجد بيتاً. كانت مكتظة بأشخاص من كل أنحاء سوريا. كانت خمس عائلات ربما تسكن في بيت واحد، بالإضافة إلى أنهم طلبوا أسعاراً مرتفعة جداً. بقينا فيها شهرين دون أن نجد بيتاً، وفي الوقت نفسه لم نستطع أن ندخل إلى تركيا، حاولنا كثيراً في الشتاء والجو بارد جداً ومثلج.

في هذا الوقت سمع زوجي أن الأكراد استلموا مناطق الهلّك وبعيدين والصاخور وليس النظام. اتصلنا بجيراننا فقالوا إن كل شيء متوافر.

عدنا إلى منطقتنا في 2017 وكان الأكراد قد استلموا كل شيء وكان التعامل معهم صعباً جداً. تحكّموا بنا وأرادوا أن يعلمونا لغتهم. إذا أردنا أي تصريـح بأي شيء كان علينا أن نذهب إلى المخفر ونحضر الموظفين الأكراد ونحضر كشفاً. كانوا يريدون عقود البيوت. أخذوا بيوت الجيش الحر وجعلوها مكاتب لهم، وفتحوا "بيت الشعب" ولا أعرف ماذا أيضاً. أعادوا تشغيل فرن واحد وصاروا يُدخلون كميات بسيطة جداً من الخضروات. كنا نشتري المياه. لم تكن عندنا مياه معقمة لأن النظام لم يرجعها، وأيضاً لم تعد الكهرباء لأن الأعمدة كانت مقصوفة، لم يشغلها لأننا لم نكن في مناطق النظام. كان كل شيء غالياً جداً، ولم يكن هناك عمل للرجال أبداً. لم يعد هناك قصف ولا طيران لكننا كنا مطوقين. كان النظام وراء الأكراد مباشرة. أولاً نمرّ على حاجز النظام وبعدها حاجز الأكراد ثم ندخل إلى منطقتنا. كان الأكراد يقولون إنهم يحموننا من النظام، بما أن الجيش الحر وبعض العساكر المنشقين ما يزالون في المنطقة. صار البعض يقول إن الأكراد يسلمون أشخاصاً إلى النظام. خاف الكثيرون لكن الأكراد كانوا يقولون لنا: "نحنا استلمنا منطقتكم ومستحيل نسلمها للنظام". لكنهم صاروا يعطونه أسماء المطلوبين ونحن لم نكن نعرف أبداً، اتضح أنهم عملاء للنظام. عندما قُصفت عفرين أخذوا الشبان الذين كانوا يعملون معهم في مكاتب الإغاثة ليخرجوا في مظاهرات نصرةً لعفرين كي يتدخل النظام في موضوع قصفها. لكن عندما أعادوهم أخذوهم من طريق نبّل والزهراء الذين لم يسمحوا لهم بدخول حلب مجدداً. فأخبرونا أن نحرق كل ما كان في المكاتب لأن النظام سيدخل. وفعلاً لم نشعر إلا والنظام بيننا، دخل مع السيارات والعساكر والاحتفالات. لم نعرف كيف ظهرت الأعلام والهتافات فوراً، وكأننا لم نكن نعيش حرباً أبداً.

في الأسبوع الأول أعطوا الأمان للجميع. انسحب الأكراد إلى حي الشيخ مقصود وقالوا لمن يريد النزوح معهم أن يأتي. كنت في العدّة الشرعية بعد وفاة زوجي، وبقي اثنا عشر يوماً لانتهائها، ولم أستطع الخروج. طوّق النظام المنطقة وأغلق كل المداخل باستثناء المدخل الواقع على طريق الألبان من جهة مؤسسة المياه، ولم يعد باستطاعتنا المغادرة.

وبعد أسبوع صاروا يدخلون البيوت ويفتشوها ويفيّشون سكانها. صعدوا وفتشوا بيتي لكني لم أكن خائفة كثيراً، فابني العسكري شهيد عندهم، وكنت أظن أننا لم نقم بشيء خاطئ، كنا ندرّس فقط. بعد ذلك استلم فرع أمن الدولة منطقتنا، وأتوا مرة أخرى بعد أسبوع وكانت ابنتي موجودة. عملت ابنتي في مكتب إغاثة للأكراد فشاهدها المختار. قالت له: "إذا في خطر علينا ما بنشتغل" فقال لها: "لا، معلش اشتغلوا. ما فيها شي. بشان العيشة إجباري بدكم تشتغلوا مع الإرهابيين واشتغلتوا مع الأكراد". فقالت له: "نحنا ما اشتغلنا مع الإرهابية".

صعد أمن الدولة وصاروا يفتشون ويفيّشون ويحققون مع ابنتي. لم يكن معنا رجل في البيت فاتصلنا بصهري الذي كان قد خطبها فأتى. أثناء الحديث قالت له إننا كنا نعيش مع الجيش الحر وبعدها مع الأكراد والآن مع النظام فقال: "لا تقولي النظام، كلمة النظام ممنوعة". قلت له: "لكن شو انتو؟" فقال: "قولي الجيش العربي السوري. تاني مرة بناخدك إذا بتحكي هي الكلمة". شعرت برعب شديد. ماذا سنقول لهم؟ نظام، هم نظام! أخدهم صهري خارجاً وأعطاهم مبلغاً، فقام بتمزيق الضبط عند نزوله. عرفنا أن أحد زملائها كتب فيها تقريراً. كان رئيس كتيبة في الجيش الحر، وعمل بعدها مع الأكراد، ويعمل الآن مع النظام. رأيته يقف في الأسفل عندما نزلت. عشنا فترة رعب شديد. اعتقلوا ثمانية وعشرين امرأة من المنطقة، واعتقلوا كل رفاقها في المكتب، واعتقلوا أولاد خالي وشباناً كثيرين. مات أغلبهم تحت التعذيب، وأصدروا لهم شهادات وفاة بعد ثلاثة أشهر.

بعدها بأيام عاد ليحقق مع ابنتي وعاد صهري وأعطاهم مبلغاً كبيراً فقال: "خلص، إنتو بأمان. وإنت أم شهيد. ما عليكم شي، اطلعوا وفوتوا متل ما بدكم". أصدقاء بنتي الذين اعتقلوهم صاروا يتوسطون ويدفعون مبالغ ضخمة ليفرجوا عنهم. من دفعتْ بقيت شهراً أو شهرين ثم خرجت، فقمت بتزويجها فوراً وقلت لها: "لازم يكون معنا زلمة".

بعد حوالي أسبوع، وبينما كنت عائدة من بيت ابنتي الذي يبعد عن بيتي بنائين أو ثلاثة فقط، أخبرتني جارتي أن شاباً سأل عني. لم أهتم كثيراً. يعني كان التحقيق معنا قد انتهى وانتهى التفييش. أعطيت ابن ابنتي نقوداً من البلكون ليحضر لي بعض الأشياء، وفي هذا الوقت دخلت حفيدتي إلى المبنى ودخل شبان. عندما وصلت قالت لي: "هدول تحت الدولة وعم يحكوا أنه بدهم ياخدوكي". قال لي: "هاتي هويتك". أعطيته بطاقة الشرف فقال: "ما بدنا ياها، بدنا هويتك المدنية" فأعطيته إياها. قال: "تفضلي". قلت له: "مين حضرتك؟" قال: "الجوية". قلت لابنة ابنتي: "قولي الجوية لأمك، قولي لها الجوية".

على الطريق صار يحكي لي كيف مات زوجي؛ كيف أسعفناه وكيف دفناه، وكأنهم كانوا معنا أثناء الوفاة. أتتهم اتصالات كثيرة في الطريق وكانوا يجيبون: "مسكنا كنز، مسكنا كنز"، ولم أعرف أنني المقصودة.

عندما وصلنا إلى الفرع سلموا تليفوني لشخص يجلس وراء مكتب. بينما كان يفتشه نادى الآخر وقال له: تعال انظر ما في تليفونها. لم أعرف ماذا وجد في التليفون لأنني حذفت منه كل شيء، حتى الواتس والفيس، عندما خرجنا من المعبر، ولما عدنا كان عندي الجهاز نفسه. قال لي: التفتي إلى الجدار. التفتّ فأدخل امرأة كنت قد رأيتها مرة واحدة فقط؛ عندما فتحت الروضة أتت لرؤية قسم محو الأمية وحضرت عندي بعض الدروس. وهي تعرف الجو بما أنها اعتقلت في أمن الدولة سابقاً. صديقة ابنتي، التي تم الإفراج عنها بواسطة وبعد دفع ملايين، كانت تقول لنا: أجيبوا بلا، ولا أعلم، على كل ما يسألوكم عنه كي تنجوا. لا ولا أعرف فقط. قال لي المحقق: التفتي إليها. وسألها عني فقالت: لا أعرفها. هجم عليها الذي اعتقلني وقال لها: "شووو؟" فصاح به الثاني: اتركها. صاروا يسألوني عن أسماء كانت معنا. يقولون لي: فلانة وفلانة؟ فأقول: لا أعرفهم. قال: من تعرفين إذاً؟ قلت: أعرف أمي وخالتي وجدتي فقط. فقال لي: أتتغابين عليّ؟ قام من وراء المكتب وهمّ بضربي وصار يصرخ كثيراً ويسيء في الكلام. لا أدري ما الذي أصابني وقتها، تجمدت من الخوف وصرت أرجف.

بعد قليل أنزلوني وأركبونا في سيارة فان سودا، أنا والتي واجهوني بها وثالثة كانت تدرّس معنا. لم يطمشونا لكنهم أمرونا أن نخفض رؤوسنا طوال الطريق وألا نتبادل أي كلمة. سألناهم إلى أين يأخذونا فصاروا يضحكون ويسخرون. بعد حوالي ساعة وصلنا وأدخلونا إلى مبنى كبير جداً وصاخب. قالوا لنا: أديروا وجوهكم إلى الجدار. وأوقفونا. كنا في ممر كبير جداً مليء بشباب مطمشين ومكلبشين ووجوههم باتجاه الجدار، وبينهم نساء. لم أكن أعرف أين نحن لكني كنت قد سمعت أحدهم يقول للآخر عنا: تحويل إلى مطار كويرس. ما معنى مطار كويرس؟ لم أكن أعلم وقتها أنه مطار حوّلوه إلى فرع. أجلسونا على ركبنا وأعطوا كلاً منا ورقة كبيرة وقالوا لنا: "اكتبوا مين إلكم بالإرهاب، مين إلكم بالنظام. العيلة كلها؛ خوالك خالاتك عماتك؛ أسماءهم مع أولادهم مع كلشي".

بعدها أدخلونا إلى مكان حديد عازل وأحضروا امرأة فتشتنا والعنصر ينظر. فتشتني كثيراً وأدخلت يدها إلى الأماكن الحساسة. موقف لا يوصف. بعدها أدخلوني إلى زنزانة لها باب حديد لا تعرف الليل فيها من النهار. كانت هناك امرأة من حي الصاخور مضى 37 يوماً منذ أن تركت وراءها ابناً رضيعاً. اعتقلوها لأنها استضافت أختها عندها، وكان زوج الأخت من الجيش الحر. كانت مساحة الزنزانة مترين في متر. يعني أنا وهي لا نستطيع أن نستلقي، لا نستطيع أن نجلس ونمد أقدامنا. المجال ضيق جداً، حيطان فحسب.

كانت الزنزانات في صف إلى جوار بعضها. على بعد مترين من زنزانتي كان المكان الذي يعذبون فيه الرجال ويحققون معهم. أصوات التعذيب لا توصف أبداً أبداً. هناك شخص اعترف على أبيه وعلى أخيه، وآخر على أمه. قال له: من رشّ الضابط؟ قال: أبي رش واحداً وأخذ 200 ألف ليرة، وعلى كل عسكري رشه أخذ 25 ألفاً. بماذا تريدون أن أعترف لكم أيضاً؟ فيُعيدون وضعه على الجنازير ثانية. أتوا بأبيه وأخيه وجلبوا العائلة كلها. بسبب التعذيب تُحضر كل عائلتك.

أكبر جريمة أن تسمع أصوات أناس يُعذَّبون بالكهرباء وبكل الوسائل. ليست عندهم رحمة ولا شفقة أبداً. حين يموت شخص من التعذيب يقولون: كلب وفطس. كانت رائحة الدم قوية وهناك معتقلون صغار في أعمار 14 و15 سنة يمسحون الممر. كانت زميلتي في الزنزانة تحكي معهم عندما يفتحون الحمام للرجال، مرة وحدة في اليوم. كان نفَسي فيفتح لي السجان طاقة الحديد وعندما يمرّ الرجال يغلقها فنختنق من الحرارة. كنا في الشهر السابع 2018 وكانت الحرارة عالية. كان صدري يوجعني فتطرق عليهم الباب وتقول: أغمي عليها.

في صباح اليوم التالي أخذوني إلى التحقيق. كان المحقق يجلس في غرفة كبيرة جداً. صار يسألني عن عائلتي وأولادي وأنا أجيب، وصرت أحكي عن ابني العسكري بالدرجة الأولى. سألني كثيراً. أدخل المرأة التي كانت معي في السيارة، وكانت قد اعترفت بكل شيء، وسألها: "هي هية؟". قالت له: نعم. فأمرهم بإخراجها. لكني لم أعرف تهمتي ولماذا اعتقلوني حتى قال لي في النهاية: أنت كنت فاتحة معهد شرعي لتعليم الأسلحة للنساء تابع لأحرار الشام. قلت له: كيف سأشتغل مع أحرار الشام وابني عسكري، وكنت أسافر إلى دمشق لعنده، ولديّ الإثباتات؟ فقال: هل ستتذكرين إذا وضعناكِ على الكهرباء أو في الدولاب أم لا؟ هنا أغمي علي وأصابني نزيف حاد ولم أدرِ ما الذي حدث معي. لم أشعر عندما سحبوني إلى الممر وحقنوني بإبرتين وأعادوني إلى الزنزانة شحطاً. ظللت على هذه الحالة 6 أيام، لم أستطع أن آكل أو أشرب أو أفعل أي شيء.

بعد 6 أيام شعرت أنهم سحبوني إلى الممر وعلّقوا لي سيروم. فتحت عيوني فرأيت اللتين كانتا معي في السيارة حولي. قلت للتي اعترفت: لماذا فعلتِ هذا؟ فأجابت: كان سيعذبني بالدولاب فذكرت الأسماء التي أعرفها والتي لا أعرفها.

عندما كان السيروم معلّقاً جاء محقق ضخم جداً وقال لي: "ليش ما عم تاكلي؟". نظرت إليه وقلت: معدتي. فأمسك معدتي وقال: هنا الوجع؟ خبط على معدتي وقال: يجب أن تأكلي. فقلت: نعم.

وضعوا لي السيروم ساعتين وبعدها صاروا يعطونني حبة دواء. كنا لا نرى الشمس. وبعدها فتحوا الأبواب وأمرني سجان أن أخفض رأسي. وأخرجونا إلى أرض جرداء وحولها حديد، ووراءه سيارات، ويحيط بنا ضباط وعساكر. أخرجوا شباناً عراة الصدر من الذين كانوا يعذبونهم. "شممونا الهوا خمس دقايق ورجعونا".

بعد أن رجعت إلى وعيي عدت لسماع أصوات التعذيب. لهجة أغلب المحققين علوية. قال رجل مسنٌّ للمحقق: والله لبست الجعبة وحملت البارودة لالتقاط صورة. كانوا قد وجدوا الصورة في موبايله. فقال له: الآن سأصوّرك أحلى صورة. عذبوه كثيراً لأجل صورة. لا يعرفون "كرمال الله" و"كرمال محمد". أحدهم قال للمحقق: "كرمال بشار". فأجابه: "ولاك! لأنه بشار كان معك؟ كان رفيقك؟ حتى عم تقول كرمال بشار!". شخص آخر قال أيضاً: "كرمال بشار". فقال له: "لأ، كرمال الثورة. الثورة بدها تضحية وأنا بدي ضحيك". وظل يعذبه حتى مات. إذا قلت لهم: "كرمال ولادكم" يصيبهم الجنون. سمعت محققاً يقول لمعتقل: "مين أنت لتجيب سيرة ولادي؟ مين أنت ولاك؟".

في الصبح نادوا أسماءنا، أنا واللتين دخلتا معي، لأنهم وضعونا في ملف واحد. خرجنا ومعنا عدد لا يتجاوز العشرة من الشباب. قالوا إنهم سيأخذونا إلى السياسية للتفييش، ثم إلى الجنائية، ثم إلى الشرطة العسكرية. وقتها كان الجو حاراً جداً وظللنا طول النهار نبلل أنفسنا بالماء. السيارة حديد وواقفة بانتظار أن يفيشوا هوياتنا فإذا كان الواحد مطلوباً لفرع آخر يأخذونه إليه. بعد أن فيشونا وضعونا في الشرطة العسكرية في غرفة منعزلة حارة جداً ورائحتها. كان الوضع أسوأ بكثير من الجوية. وفي اليوم التالي أخذنا باص إلى النيابة. كان فارغاً لكن بهدف الإذلال أجلسونا نحن الثلاثة في كرسي واحد ورؤوسنا مطأطئة طوال الطريق. الشباب الذين أخذوهم معنا ممنوع أن يرفعوا رؤوسهم أيضاً وكانوا مكلبشين.

لما أنزلونا وضعونا في مكان تحت الأرض يشبه الزنزانة فيها كثير من الناس. بسبب الواسطات من طرف صهري أحضروا لي بنتي وابني ورأيتهم دقيقتين من الطاقة. لما شاهدتهم انهرت كثيراً. قال لي صهري: لا تخافي، أمورك كلها تمام، لن تطول إن شاء الله. كان يدفع لهم الكثير ليستطيع الوصول إليّ. في النهاية أدخلونا إلى النيابة فقال لي: هل عملت مع المجموعات الإرهابية؟ قلت: لا. سأل البقية كثيراً لكنه لم يسألني سوى هذا السؤال.

أعادونا إلى المكان نفسه وصاروا يُدخلون إلى الغرفة حوامل، نساء مع أولادهن. في اليوم التالي طرقنا عليهم الباب لنذهب إلى الحمام فقال: ما في، اليوم عطلة. ولا وحدة تحكي. اخرسوا. لو لم تفعلوا كذا لما أتيتم إلى هنا. ولو لم تكونوا فلتانات، ولو، ولو. إهانات كثيرة وكلام وسخ جداً. عند الظهر نادوني لدقيقتين فرأيت صهري مع العساكر وهو يعطيهم الآلاف. قال لي: اليوم عطلة ولا يوجد قاض. لن يرحلوكم إلى القصر العدلي قبل الغد. قلت له: سأموت إذا بقيت هنا. لا أستطيع التحمل أبداً. كانت تلك الليلة هي الأبشع، لا توصف. العساكر خارج الغرفة قذرون وكانوا يسمعوننا كلاماً قذراً جداً، والروائح كريهة.

في اليوم الثالث أخذونا بسيارة حديدية إلى القصر العدلي. كان الجو حاراً جداً والشمس مسلطة علينا. كان يومها وقفة العيد وسمعت صوت الجامع يكبّر. كاد وقت الدوام أن ينتهي ثم نادونا وصعدنا لعند قاضي محكمة الإرهاب الذي كان يحدد للناس مصائرهم. قال لي: هل عملت مع المجموعات الإرهابية؟ قلت: لا. فقال: "لا تقولي حدا حطلك واسطة أو دفعلك مصاري. أنت طلعت براءة. نحن عملنا دراسة عنك وطلع ما عليكي شي. وهلق رح تطلعي". كنا قد دفعنا مبالغ كبيرة عن طريق صهري. قلت له: طيب، إذا كُتب في حقي تقرير جديد فمن الجهة المسؤولة عنّا؟ في كل يوم يُكتب تقرير في حق أحدهم أو إحداهن ليقبضوا النقود. قال: "نحن ما بنقدر عالأفرع".

عندما خرجت وتنشقت الهواء أصابني الدوار. قلت لصهري: يستحيل أن أبقى في الحارة وأرى العساكر أمامي، لم أعد قادرة على أشاهد عسكرياً أبداً. لا أريد أن أرجع إلى الحارة. يستحيل أن أرى الذين سلموني. فقال: ارجعي واكسري أعينهم. ركبنا تاكسياً إلى الحارة. ولما نزلت رأيت "حولو" الذي قال لي: الحمد لله على السلامة. وهو الذي دلّهم على بيتي. تمنيت أن أذبحه وأشرب من دمه. وقف مع صهري وقال له: هل تعرف أنهم كانوا سيأخذوني معها لو لم أدلّهم على بيتها؟.

بعدها ذهبنا إلى القصر العدلي لأجل بطاقة كف البحث. حددوا لي مدة ست شهور لا أغادر خلالها المنطقة، يجب أن أبقى في المكان نفسه ليعملوا عني دراسة أمنية. كان الواسطة ينتظر أن يستلم النقود في اليوم التالي. أرهقنا تأمين المبلغ، كانت عندي حليٌّ ذهبية فبعتها. سألتهم عن الموبايل فقالوا إنه لدى الشرطة العسكرية، وبعد حوالي أسبوع ذهبت إلى هناك واستلمته.

في هذه الفترة كنت أخاف كثيراً؛ أخاف أن أراهم، أخاف أن يعتقلوني مجدداً، أخاف من كل شيء. حتى الآن أخاف من البوليس. بعدما خرجت من الاعتقال عشت في رعب كبير لأن الجيش بقي في منطقتنا التي ما زالت مطوقة، وكانوا يعتقلون شخصاً كل مدة قصيرة. أُصبت بانهيار عصبي وأخذني صهري إلى طبيب نفسي وصرت أُعالج بالمهدئات والمنوم. عندما خرجت كانت ذاكرتي فارغة تقريباً، لا أتذكر شيئاً. كنت مريضة جداً. لا أعرف كيف مرّت شهور المراقبة هذه. كلما أخرج يفيشوا الهوية ولا أعرف ماذا قد يحدث لي بعد قليل. عندما أخرج وأشاهد الدورية مقابلي أكاد أموت من الخوف ويصيبني الارتجاف، أشعر أنهم قادمون ليأخذوني. لم أكن أتحرك وحدي، بل مع بنتي وصهري. أحس أنني مراقبة دوماً. إذا أردت الذهاب إلى بيت ابنتي أحس أن واحداً منهم يمشي ورائي. لا أقدر على الأكل وآخذ كثيراً من الدواء. لا أستطيع البقاء وحيدة في غرفة أبداً. رعب وكوابيس. لم يأتِ أحد للسلام عليّ، خاف الناس لأن بيتي مراقب ولأني كنت معتقلة.

لم يعد أحد يجرؤ على أن يحكي معي ولم يعد أحد يدخل بيتي. تعبتُ كثيراً وتعبتْ أعصاب ابني كثيراً من الخوف والرعب. عندما اعتقلت هربت بنتي إلى القرية فوراً. قيل لها إنها مطلوبة فراحت إلى الضيعة دون أن ترى أخاها. كان عمره عشر سنين فأخذه ابن جيراننا ليومين ثم أخذته أختي إلى عندها. كان منهاراً جداً، وكذلك أولاد بنتي، وخاصة ابنتها التي شاهدت اعتقالي. كانت تخاف عليّ كثيراً.

صار الواسطة يلعب بأعصابي. كنا نملك نقوداً وذهباً، وعرف ظروف حياتي وأنه ليس لي سند، فأخذ يستغلنا. يقول لي: "اسمك عالحاجز. هاد الحاجز تفييش خماسي. بس طلعتي رح يمسكوكي. ما بياخدوكي إلك بس، بياخدو الشوفير يلي مطالعك".

وصلتني تهديدات كثيرة، وكذلك لابنتي. هناك شخص كان يطلبها للزواج وأنا لم أوافق. في ذلك الوقت كانت مخطوبة لصهري الجديد لكنه كان يهددنا وصار يهدد صهري. عندما كنت أنزل من البيت كنت أراه مع محقق أمن الدولة المسؤول عنا. كان صاحبه وهو الذي أرسله ليحقق معها. كان يصيبني بالجنون. كان على أيام الجيش الحر ثم صار يشتغل مع بنتي بالإغاثة في مكتب الأكراد. كيف كنتم معنا وأصبحتم مع الأكراد ثم صرتم اليد اليمنى للنظام؟! لم أعد أثق بأحد أبداً!.

في أحد الأيام جاءت جارتي وأخبرتني أني مطلوبة للسياسية. لم أعد أستطيع أن أبقى، يجب أن أغادر حلب. اتصلت بجارة قديمة لنا صارت تعيش في كلّس فقالت لي إن ابنة أخيها دخلت إلى تركيا للتو. طلبت منها رقم المهرب فأرسلته لي. قلت له: "ما بفيّش. ما عاد فيّش هويتي أبداً أبداً". فاتفق مع سائق كي أمرّ دون فيش. والحمد لله تيسر دخولي إلى تركيا من أول مرة.

كنت أنوي الذهاب إلى إسطنبول لرؤية ابنتي وأختي. وكان علينا أن نسافر تهريباً كذلك، لأننا لا نحوز كمليك. أقمت يومين عند ابنتي. وفي اليوم الثالث دعتني أختي. كانت تسكن في حي أسنيورت وأمامها ساحة الميدان. كانت تحدثني عن الأمان هنا عندما بدأت الاعتقالات فجأة في الميدان، وصاروا يكلبشون الشباب ويقودونهم للترحيل إلى سوريا. شرحت لي: هؤلاء ليس عندهم كمليك. لما رأيت هذا المشهد خفت وأصابني انهيار وقلت لها: ربما يعيدوني إلى سوريا. بقينا في البيت شهراً دون أن أخرج منه. بعدها سافرت تهريباً إلى إزمير، كانت أمي هناك رحمها الله. ثم سافرنا تهريباً إلى عنتاب لنستخرج كمليك.

في البداية لم أجد بيتاً في عنتاب ثم استأجرتُ بيتاً ليس فيه كهرباء، وسكنت فيه ثلاثة شهور. صار ابني يقف مقابل المدرسة كل يوم ويبكي، يريد أن يدخلها، وكان يشعر أنني دمرت مستقبله ويطالبني أن نرجع إلى سوريا فأذكّره بما حدث لي هناك، فيسكت. صار يعمل ويتعب كثيراً في العمل. عمره الآن 14 سنة.

قرأنا على الفيسبوك عن جلسات دعم نفسي فذهبنا، أنا وجارتي، إلى العنوان المذكور. أخذوا أسماءنا وأرقام تلفوناتنا وصرنا نتردد إلى مركز العائلة. في إسطنبول كان أقاربي قد قالوا لي: لا تقولي إنك كنت معتقلة أبداً أبداً، لأنهم سيظنون أنك إرهابية من داعش. فلما أتيت إلى هنا لم أقل إني كنت معتقلة. بقيت لشهرين أخاف عندما آتي إلى المركز وأشاهد لوغو رابطة معتقلي صيدنايا فأقول لجارتي: هل سيسلّمونا للنظام؟. ثم اقترحوا عليّ أن يرسلوني إلى مرسين لحضور لقاء لأجل المعتقلات. رفضت فشجعوني وحجزوا لي سيارة إلى مرسين. كان خائفة جداً في أول يوم. لما نزلنا إلى الاجتماع كانوا كلهم معتقلات ومعتقلين فشعرت أن هناك الكثيرين مثلي، وأن المعتقلة لها حقوق هنا! تعرفت عليهم وحضرنا الجلسات لثلاثة أيام واخدوني عالبحر. كانت أيام صيف وسعدنا كثيراً. كانت سفرة حلوة جداً وارتاحت نفسيتي. من ذلك الوقت زال الخوف؛ لم أعد أخاف من البوليس ولا من شيء أبداً أبداً، الحمد لله.

وضع بنتي التي في إسطنبول سيئ جداً. هي مطلوبة لأنه كانت تدرّس أيضاً. طلبها النظام في أول دخوله فقلت لها: اطلعي. أنت حامل سبع شهور وبنتك صغيرة وعندك ابنك. زوجها سيئ جداً وقد طُلقت منه الآن وهي تقيم عندي.

عندما أتيت إلى عنتاب كان الوضع المادي صعباً. أنفقت الكثير عند وفاة زوجي، وكي أخرج من السجن، وحتى أدخل إلى تركيا. دفعت كل ما كان معي. فلما أتيت إلى عنتاب كان وضعي المادي صعباً جداً، وعليّ إيجار بيت وفواتير، ولا أستطيع أن أعمل. في البداية فتحت يومي السبت والأحد لتدريس اللغة العربية وجاءني الكثير من الطلاب، ثم فتحت محو أمية للنساء. حذّرني البعض من أنه إذا اشتكى عليّ أحد الأتراك فسيرحلوني إلى سوريا. لي صديقة تعمل مع دار الافتاء استخرجت لي رخصة وفتحت لي الجامع لأدرّس فيه منذ السنة الماضية. أحب التدريس كثيراً. مثلاً عندما تأتيني بنت عمرها 12-13 سنة ولا تعرف اللغة العربية أبداً، وهي لغة القرآن أولاً ولغتنا ثانياً، أحزن لوضعها.

لهذا المركز فضل كبير عليّ. منذ أن عرفته شعرت أن هذا ما كنت أبحث عنه ولا أجده. شعرت أن هذا المكان أراح نفسيتي بالفعل. هو أكثر ما ساعدني. صارت عندي طمأنينة، صار عندي أمان. لما نصحني أقاربي "لا تقولي إنك كنت معتقلة" شعرت أن حقي سيضيع. من سيحاسب عن الأيام التي قضيتها في السجن؟ راحت أيام من أعمارنا وتأثرت جوانب كثيرة في حياتنا. يكفي أن نفيق في الليل على أصوات تعذيب المعتقلين. تكفي الإهانات التي تعرضت لها. أكبر انتهاك أن تدخل امرأة السجن في هذا العمر، كنت في الثامنة والأربعين. ورأيت هناك عجائز ونساء وأطفال. ما ذنبهم؟ ويكفي التشرد الذي شُردناه؛ أنك خرجت من بلدك، خرجت من بيتك.

سأشعر بالعدالة عندما يُرفع الظلم عن سوريا ويتغير النظام وكل من أسهم في دمارنا، ويعود الاستقرار والأمان. أخذ النظام شبابنا. كانوا يقولون لي أنت أم شهيد. طيب، إلى أين أخذتم أولادنا؟ أين حقنا؟ ساشعر أنني حصلت على حقي قليلاً عندما يخرج كل المعتقلين، لما ترجع حقوق العباد، ولما يُحاسَب الذين عذّبوا البشر في السجون. صهري مفقود منذ 2012. أين هو؟ من أخذه؟ يجب أن نعرف مصير المفقودين، هناك الكثير منهم. من فُقد بالبراميل التي دمرت الشعب من سيُحاسب عنهم؟ الطيران الذي لم يترك شيئاً إلا وسوّاه بالأرض من سيحاسبه؟.

أتمنى أن أرى ماذا سيحل ببلدنا وماذا سيحل بنا. نحن، الذين عشنا الحرب وعشنا كل شيء، ما مصيرنا في النهاية؟ أتمنى أن يرى العالم الانتهاكات التي حصلت في بلدنا، حقوق الإنسان الضائعة، كيف أن الإنسان بلا قيمة ولا حق في بلده ولا كرامة. القمع عندنا كبير جداً. لا تستطيع أن تحكي ولا أن تأخذ حقك ولا مجرد أن تطالب به. يعني اعتقلوني وقضت محكمة الإرهاب ببراءتي. طيب أين حقي؟ في النهاية يقولون: "براءة، وإذا حدا كتب فيكي تقرير بترجعي"!

إذا تحققت العدالة والمساواة فعلى الأقل سيشعر الإنسان أنه إنسان وله كرامة. أهم شيء هو أن تشعر أنك إنسان؛ لا تُهان ولا تُذل ولا يروح بيتك ولا تجرؤ أن تتكلم لأن القمع سيخفيك فوراً ونهائياً. أولاد خالي ماتوا تحت التعذيب وبعد مدة أعطوا أهلهم شهادات وفاة. هؤلاء على حساب من؟ صار اسمنا إرهابيين فقط لأننا بقينا في منطقتنا؟ مع أنهم من أدخلوا الإرهاب ولم يتركوا بلداً لم يُدخلوه علينا. الفلسطينيون دخلوا إلى دمشق، وجاء الايرانيون والشيعة من بلدان أخرى. في إحدى المرات رأيت أحدهم وكان ثملاً فقال لي: نحن آتون لنحرر القدس! استلم الروسي البلد، دخل واستلم حي مساكن هنانو. سُلّم البلد للغرباء ونحن لا نمون أن نرجع إلى بيوتنا. أسست لأولادي بيتاً فدمروا الأساس كله. لم نحزن على بيوتنا عندما دُمرت لكن الشباب الذين قضوا على حساب من؟ والعمر الذي عشناه على حساب من؟.

رابطة معتقلي و مفقودي سجن صيدنايا
Association of Detainees & Missing in Sednaya Prison